التأويل 13

المكون الإسلامي في تأويليات الحداثة الأوروبية المعاصرة

المهددات الإسلامية التي أدت إلى نهضة أوروبا من سباتها

أدت الترجمة العكسية للتراث الإسلامي من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية على مدى قرون من الاحتكاك بين العالم الإسلامي وأوروبا إلى حدوث تلاقح فكري واسع عم الكثير من الميادين المعرفية، سيكون له ما بعده.

وقد كان للكثير من الأفكار النيرة التي بذرها المسلمون في أذهان الطبقة المتنورة من الأوروبيين، مثل القول: بطروء التحريف على الكتب المقدسة، واستحداث النقدية التاريخية لمعالجة هذه الآفة، واعتماد مناهج الاستقراء والبحث العلمي التجريبي بدل التخرص الأهوائي الفلسفي العقيم، أن تجد أفئدة متعطشة للارتواء كتربة خصبة حاضنة لهذه البذور الواعدة في هذه البيئة المعدة من طرف برنامج الوجود إلى إرث الأرض وما عليها، بعد أن زودوا بالآليات الناجعة الكفيلة بقطع الرسن الذي ربطهم بالكنيسة، ولتتمكن أوروبا قاطبة من الانعتاق من الأغلال التي كبلت مصيرها لقرون ويتبادلوا الأدوار مع المسلمين، بعد أن كبت جياد الأخيرين، ليعانقوا التخلف جزاءاً وفاقاً.

وكان مما ساعد على هذه الانطلاقة الانعتاقية التحررية الأوروبية ومهد لها الأرضية وجعلها جدليتها في متناول العقول، نشأة الكثير من المدارس الفكرية المخضرمة الممثلة على الساحة الأوروبية بمدارس لفقت ما بين التراثية الإغريقية والتراثية الإسلامية من شاكلة:

أ) "الرشدية اللاتينية" المتأثرة بشروحات أبي الوليد (الثاني): محمد بن أبي القاسم أحمد بن شيخ المالكي أبي الوليد (الأول) محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المعروف بابن رشد الحفيد (520 هـ - 595 هـ)   لأفكار أرسطو[1]،

---

[1] *قال ابن أبي أصيبعة في "تاريخ الحكماء" كان أوحد في الفقه والخلاف وبرع في الطب وكان بينه وبين أبي مروان بن زهر مودة وقيل كان رث البزة قوي النفس لازم في الطب أبا جعفر بن هارون مدة، ولما كان المنصور صاحب المغرب بقرطبة استدعى ابن رشد واحتزمه كثيرا* ***ثم نقم عليه بعد يعني لأجل الفلسفة****، وله شرح أرجوزة ابن سينا في الطب والمقدمات في الفقه، كتاب الحيوان، كتاب:* ***جوامع كتب***

ب) و"السيناوية اللاتينية"، المتأثرة بشروحات أبي علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا الفارسي الملقب بالشيخ الرئيس (370 هـ/ 980هـ - 428 هـ/1036م)   للأفلاطونية المحدثة[2]،

ت) و"*الهيثمية التجريبية الاستقرائية*" للمهندس والرياضياتي والفيزيائي والميكانيكي (عالم الحيل) والفلكي، والطبيب، والأخلاقي الملقب ب "أمير الضوء": أبو علي الحسن بن الهيثم (ت: 354هـ/965 م - 430 هـ/1038 م)، صاحب كتاب: "**المناظر**"، الذي أحدث ثورة مفهومية في نظرية الضوء، سيتبناها لاحقاً فرنسيس بيكون،

ث) و"**المدرسة الفلكية الشامية والأسيوية**" ممثلة بالرؤية الثورية لمركزية الشمس للرياضياتي والفلكي مؤقت الجامع الأموي: أبي الحسن بن علي بن إبراهيم بن محمد بن المطعم الدمشقي (704 هـ - 777 هـ). الشهير بلقب: **ابن الشاطر**، على خلاف النظرية التي تقوم على مركزية الأرض التي كان يقول بها الفلكي الاسكندراني: **كلود بطليموس**، والتي سينقلها عنه: نيكولاس كوبرنيكوس (Nicolas **Copernic**)   بالحرف وينسبها لنفسه   ، وبالرصودات والأزياج الدقيقة لمرصد أولغ بك بمراغة (الصور أسفل).

أرسطوطاليس، شرح كتاب النفس، كتاب في المنطق، *كتاب* ***تلخيص الإلهيات لنيقولاوس، كتاب تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطو،*** *كتاب تلخيص الاستقصات لجالينوس، ولخص له كتاب المزاج وكتاب القوى وكتاب العلل وكتاب التعريف وكتاب الحميات وكتاب حيلة البرء، ولخص كتاب* ***السماع الطبيعي،*** *وله كتاب* ***تهافت التهافت وكتاب مناهج الأدلة في الأصول، وكتاب فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال*** *،كتاب شرح القياس لأرسطو، مقالة في العقل، مقالة في القياس، كتاب الفحص في أمر العقل، الفحص عن مسائل في الشفاء، مسألة في الزمان، مقالة* ***فيما يعتقد المشاؤون وما يعتقده المتكلمون في كيفية وجود العالم،*** *مقالة* ***في نظر الفارابي في المنطق ونظر أرسطو،*** *مقالة في اتصال العقل المفارق للإنسان، مقالة في وجود المادة الأولى، مقالة* ***في الرد على ابن سينا،*** *مقالة في المزاج، مسائل حكمية، مقالة في حركة الفلك كتاب ما خالف فيه الفارابي أرسطو..*
قلت: (عمراني): وقد ذكر ابن تيمية عنه: ***أنه كان ينفي بعض الصفات ويميل لمذهب الباطنية.***

[2] بلغت مؤلفاته زهاء **450** مؤلف وصلنا منها حوالي **240**, ومن بين هذه الأخيرة اهتمت **150** منها بالفلسفة. ويعتبر إبن سينا أباً مبكراً للطبِّ الحديثَ ، خصوصاً لإدخاله التجريبِ والقياسِ المنظّمِ إلى دراسةِ عِلْم وظائف الأعضاءِ، وإكتشافه للطبيعةِ المعديةِ لبعض الأمراضِ، وإدخاله للحجر الصحي لتَحديد إنتشارِ الأمراضِ المعدية، وإدخال للطبِّ التجريبِي، المبني على الأدلة، والتجارب السريرية، والتجارب العشوائية المتحكم فيها، واختبار النجاعة، وعلْم الصيدلة السريري، وعلم النفس العصبي، والتحليل لعاملِ خطرِ، وفكرة المتلازمة، [20] وأهمية عِلْمِ التغذية وتأثيرِ المناخِ والبيئةِ على الصحةِ. هو يُعتَبرُ أيضاً أبّاً لمفهومِ الزخمِ في الفيزياءِ، رائداً للعلاج بالعطرَ. انظر ترجمته باللغة الإنجليزية في موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

ج) والنقدية التاريخية للكتب المقدسة المستحدثة استحداثاً من طرف الإمـــام ابـــن حـــزم الأندلـــسي الظاهري (994 م – 1063) [3] 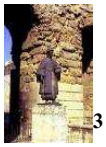 (تمثال له بباب إشبيلية بقرطبة وطابع بريـــدي تـــذكاري اعترافاً له بالسبق) ، والتي سيتبناها لاحقاً وبالحرف كل من اليهودي الهولنـــدي **بـاروخ سبينوزا** (1632 – 1677) في كتاب: "**الرسالة في اللاهوت والسياسة**" والفرنسي **ريشار سيمون** (1638 – 1712) في كتبه النقدية وغيرهما،

ح) ونقدية الإمام **ابن تيمية** لمنطق أرسطو التي سيستخرج منها الغربيون اللاحقون قيمة معرفـــة مضافة وظفوها في إعادة صياغة المنطق على أسس جديدة بعد وقوفهم على بعض ما شاب منطق أرسطو من عيوب وثغرات وحتى نقائض، ليعملوا على تجاوزها باكتشاف طرق منطقية أخرى تربط العلم بمناهج التفكير وبالعالم العياني للطبيعة، بعد أن ظل محصوراً في القوالب الذهنية الصورية لقرون بعد المعلم الأول، كما سيفعل روجر بيكون (611 هـ/1214 م - 693هـ / 1294م) وغيره، بينما سيكتفي المسلمون من نقد ابن تيمية رحمه الله باستعمالة كمجرد تعويده للتبرك تغنيهم عن إضافة شيء يذكر إلى علم المنطق من جديد لتوقف الآلة المنتجة للعلم عندهم، وخصوصاً عندما صار علم الإمام ابن تيمية رحمه الله يستغل استغلالاً بئيساً من طرف عقول لا تدرك فحواه بغرض التآكل به بالهش على المخالفين، حتى بدون عناء تصور الإشكال المطروح القابع من وراء نقد الأخير، ولا البيئة التي قادته إليه!

[3] *أنظر كتابنا: "مدرسة ابن حزم الأوروبية في النقدية التاريخية للكتب المقدسة: رسالة في التسامح.*

ولقد كان لهبوب مثل هذه الرياح المعرفية العاصفة والناسفة والملقِّحة في آن، أن حملت معها غماماً مثقلا بالمعارف أصابت بوابل جارف كل مناحي التفكير الأوروبي وصبت جميعها في نهر النهضة ما كان قد أثر الفكر الإغريقي بطِل فقط في أغلب مناحي العلوم الإسلامية من قبل، حتى دلف رذاذه إلى أصول الفقه دون أن يتنبه لذلك أحد عندما بدأ الانحطاط يلقي بجرانه على العالم الإسلامي!.

والملفت من عدة وجوه وجوانب هو أن يحصل هذا التثاقف بالرغم من كثافة جدار الدعاية المسيئة للإسلام ولنبي الإسلام، التي كانت الكنيسة قد دأبت على نشر الكثير من الأراجيف والاختلاقات والأكاذيب والأساطير والخرافات حولهما، حتى غدا ذلك مشهداً مألوفاً على الساحة، وسحاباً كثيفاً مكفهرا بلد سماء أوروبا برمتها، إلا أن هذا الجدار المعتم، وعلى شموليته ظلت به شروخ وفتوق واسعة، ما فتئت أن تسللت الأفكار الإسلامية من خلالها إلى الأفئدة المتطلعة والعقول المستنيرة شيئاً فشيئاً، إلى أن استطاعت أخيراً رفع سدف هذا الحجاب، لتشرق شمس الإسلام بازغة على أوروبا دون أن يواريها أو يحجبها عن الأنظار شيء. ا

ويكفي أن نمثل لهذا العناد الكنسي الشرس بالحادثة التالية:

فعندما نشر **ريشار سيمون** (**Richard Simon**) (1638 – 1712) المعاصر تقريباً لسبينوزا، سنة كتابه:

"التاريخ النقدي لعقائد وعادات أمم الشرق"[4]

وعرَض فيه للإسلام باتزان، اتهمه ناقد الكتب المقدسة البريطاني توماس أرنولد (**Arnold** **Thomas**)   (**1795 – 1842**) بأنه:

---

[4]نشر تحت اسم مستعار: "ده موني" **أنظر:**

De Moni, 1684: " Histoire critique des croyances et des coutumes des nations du levant" Ch XV, Frankfort

{كان موضوعياً أكثر من اللازم نحو الإسلام!}

فرد الفرنسي ناصحاً لزميله البريطاني بأن:

{عليه أن يتأمل "التعاليم الرائعة للأخلاقيين الإسلاميين}

وسيكتب ريشار سيمون في مقدمة كتابه: "التاريخ النقدي للعهد القديم" (l' Histoire critique du

Vieux Testament)

وسَيُلاحظُ المرء إذن [...] بأنّني، أدخلت الكثير من المبادئ المفيدةِ جداً هناك لحَلّ أكبر صعوباتِ التوراةِ، ومن أجل المواءمة في نفس الوقت مع الاعتراضات التي اعتاد المرء القيام بها ضدّ سلطةِ الكُتُبِ (المقدسة) المُتَوَّجةِ.

وقد ظلت تهمة " الاتسام الموضوعية" في حق الإسلام والمسلمين جريمة فكرية تعرض صاحبها دوماً إلى المساءلة من طرف محاكم التفتيش. هذا بالرغم من كون غالبية هؤلاء المنصفين شاهدوا وعاينوا بأنفسهم مدى تسامح العثمانيين الديني على أرض الواقع، حين لجأ أتباع مذهب كالفن في المجر (هنغاريا) وترنسيلفانيا، وبروتيستانت سيليزيا وقدماء المؤمنين من قفقاس روسيا إلى تركيا. أو حين تطلع بعضهم إلى الباب العالي العثماني أثناء هروبهم من الاضطهاد الكاثوليكي أو الأرثودكسي، مثل ما فعل يهود الأندلس قبلهم بقرنين.

وسيكتب الفيلسوف بيير بيل (1647-1706) **Pierre Bayle** في "القاموس النقـــدي" (***Dictionnaire historique et critique***)   سنة 1697 عن حياة الرسول ﷺ بموضوعية أكثر، ولتظل ترجمته تعاد كتابتها في الطبعات التالية للكتاب لمسايرة ما استجد من أبحاث في سيرته صلى الله عليه وسلم.

وسيظهر سنة 1720 م، أي: بعد ثمان سنوات فقط من وفاة ريشار سيمون، كتاب لمؤلــف مجهــول يخشى من وطأة الكنيسة علـــى نفســه!، حمــل العنـــوان اللافــت: "محمد ليس بدعاً" (**Mahomet no Impostor**).

ونذكر من بين أبرز المثقفين الأوروبيين المنصفين للإسلام والمسلمين:

1) **يوهان غوتفريد هردر** (**Johann Gottfried von Herder**) (1744 – 1803 م)

 الذي قادته الدراسة التاريخية والتركيبية للآداب الشرقية التي بــرع فيهـــا بـــأن يصرح بالفم الملآن:

"المسلمون هم فعلاً "معلمو أوروبا"

2) والـــشاعر الألمـــاني **يوهان ولفنغ غوتـه** (**Johann Wolfgang von Goethe**) (1749 – 1832 م) الـــذي مجـــد لنبـــي الإســـلام ﷺ فـــي ديوانـــه: "**أنشودة محمد**" (***Mahomet Gesang***)، ما فضح وعرى من تحامل فولتير الفرنـــسي (1694 – 1778

م) في كتابه "محمد" سنة 1742 م[5]، حتى شهد عليه بذلك الإمبراطور الفرنسي نابليون ((Napoléon Bonaparte (1769-1821) الأول نفسه[6].

وبالرغم من سقوط فولتير في وحل التحامل المُخل، إلا أن هذه الورطة لم تمنع من وجود معجبين فرنسيين بالرسول ﷺ أمثال: نابليون، والشاعر المفوه الفرنسي ألفونس لامارتين (Alphonse de Lamartine) (1790 – 1869) .

ونجد على الضفة الأخرى للمانش: المستشرق الإنجليزي توماس كارلايل (Thomas Carlyle) (1795 – 1881) ، الذي عقد فصلاً رائعاً عن النبي ﷺ في مؤلفه الشهير: "الأبطال وعبادة البطل" (*Heroes and Hero Worship*).

وخلاصة القول، فقد اعتقد الكثير من التنويريين الأوروبيين في القرن الثامن عشر بأن:

الإسلام كدين، كان الأكثر قرباً من الدين الطبيعي الفطري، وبأن الحضارة المادية، لم تظهر في الأديرة ولا البيع، وإنما ظهرت أول أمرها في الشرق، ومنه نقلها الإغريق وأضافوا لها، وعن الأخيريْن

---

[5] *كانت قد توفرت لفولتير مراجع مهمة كانت رائجة في عصرة، مثل: "حياة محمد" للكونت دي بولفيلي، و"سيرة محمد" لجان غرينيه، و"الترجمة الجيدة للقرآن لجورج سال. غلا ان كل هذا لن يظهر في مؤلفه ولا الأحداث التاريخية كمعطيات ووقائع حين ألف مسرحيته وسماها: "التعصُّب!، أو النبي ماهوميت" مما لا يبرئ ساحته الانتهازية واللاموضوعية في عمله المشين هذا!.*

[6] *جاء في مذكرات الجنرال البارون غورغو عن نابليون أثناء مقام الأخير في جزيرة القديسة هيلانة : {ثم قرأ (يعني نابليون) مسرحية "محمد" لفولتير) ويجد فيها أبيات جميلة، لننا، نحن المسلمين الآخرين، نود لو أنها كانت على مستوى اعلى من حيث الصدق التاريخي!!، لو أنها كانت لها نكهة عربية أكثر!} انظر:*

Général Baron Gougaud,1889: Sainte-Hélène, journal inédit de 1815 a 1818 avec Préface et notes de M. Le Vicomte de Grouchy et Antoine Guillois, p. 77 et 152, Paris.

نقلها الرومان وأضافوا، وعنهم جميعاً نقلها المسلمون إلى أوروبا، بعد أن أعادوا صياغتها وأضافوا لها أشياء من عندهم، حال من سبقهم، وهم ليسوا بمسيحيين ولا يهود!.

شهادت في ذمة التاريخ لعظمة الإسلام

إلى هنا، وتماشياً مع شهادة التاريخ ومنطق الأشياء، لم يكن غريباً أن يصرح جـون ولـيلم دريبـر (*John William Draper*) (1811 – 1882) في كتابه: " *التطور الثقافي لأوروبا* " (*Intellectual Development of Europe*)[7]:

"يَجِبُ علي أنْ أستهجنَ الطريقةَ المنتظمَةَ التي ظلت الأدبياتُ الأوروبيةُ تضع خارج الرؤية إلتزاماتِنا نحو المسلمين (المحمديين) (Muhammadans). بالتأكيد لا يُمكنُ إخفاءهم عن الأنظار فترة أطول، لأن الظلم المؤسس على الحقدِ الدينيِ والوهمِ الوطنيِ لا يُمكن أنْ يُستمرا إلى الأبد. لقد تَركَ العربـي ختمُـه الثقـافيُ علـى أوروبـا. لقد كَتبَـه علـى الـسماوات بطريقـةٍ لا يمكـن محوها كما يمكن لأي أحد ممَنْ يَقْرأُ أسماءَ النجومِ أن يَرى على كرة سماوية اعتيادية."

وتأتي القيمة المضافة لهذه الشهادة المزكية كون القائل هو مؤلف الكتاب المعلمة: "تـاريخ الحـروب بين الدين (المسيحي) والعلم"

(*History of the Conflict Between Religion and Science*)[8]

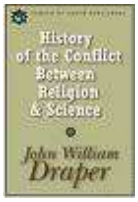

وعلى منواله صار الإناسي الفرنسي روبيـر بريفـو (Robert Briffault) (1876 – 1948) فـي كتابه: "تكوين الإنسانية" (*The Making of Humanity*) وأعاد نشره مرة أخرى تحت عنوان: "التطور العقلاني:

---

[7] من منشورات: New York, D. Appleton, 1874

[8] من منشورات: New York, D. Appleton, 1874

تكوين الإنسانية" (*Rational Evolution : The Making of Humanity*)

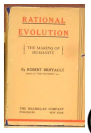

الذي نسرد منه هنا فقرات مطولـــة لأهميتها البالغة فيما نحن بصدده:

"لقد حدثت نهضة حقيقية تحت تأثير العرب والإحياءَ المغاربيَ للثقافةِ وليس في القرن الخامس عشر. فقد كانت إسبانيا، وليسَ إيطاليا، كمهدَ إنبعاثِ أوروبا. فبعد الغرَق بثبات إلى دركات أوطأ فأوطأ نحو الهمجيةِ، وَصلت إلى الأعماقَ الأظلمَ للجهل والمهانةِ عندما كانت مُدن عالمِ الإسلام: بغداد، القاهرة، قرطبة، وطليطلو، مراكزَ نامية للحضارةِ والنشاطِ الثقافي. فهناك ظهرت الحياةِ الجديدةِ التي كَان عليها أنْ تَنْموَ إلى طور جديد مِنْ نشوءِ الإنسان.

إذ منذ الوقتِ الذي بدأ تأثير ثقافتِهم يستشعر نفسه، بَدأت إثارة حياةِ جديدةِ.

"فتحت ورثتِهم في مدرسةِ أكسفورد (أي: ورثة مسلمي إسبانيا) تَعلّمَ *روجر بيكون* العربيةَ والعلوم العربية. فلا *روجر بيكون* ولا لاحقاً نفس الاسم لَهُ (يعني به حفيده فرنسيس بيكون) لهم شرف في إدخال المنهجية التجريبية لأوروبا المسيحية.

فروجر بيكون لم يكنَ أكثر مِنْ أحد رسل العِلْمِ والطريقةِ الإسلاميةِ إلى أوروبا المسيحية؛ بل هو لم يفتر قط مِنْ الإعْلان لمعاصريه بأن معرفةِ العربيةِ والعلوم العربيةِ هي الطريق الوحيد إلى المعرفةِ الحقيقيةِ. والنقاش حول: لمن يجب أن ينسب ابتداع الطريقةِ التجريبيةِ؟. . . هو جزء من سوءِ الفهمِ الهائل لأصول الحضارةِ الأوروبيةِ. الطريقة التجريبية للعرب كَانتْ زمن بيكون واسعة الانتشار وزَرعتْ بلهْفة في كافة أنحاء أوروبا".

"ويعتبر العِلْم المساهمةِ البالغة الأهميةِ للحضارةِ العربيةِ للعالمِ الحديث؛ وإن كانت ثمارَه ظلت بطيئة في النُضُوج. لأن العملاق الذي ولدته لم يبلغ قوته سوى بعد فترة طويلة من غرق الثقافة المغاربية مجدداً إلى هاوية الظلام. ولم يكن العلم وحده ما أعاد أوروبا إلى الحياةِ. فالعديد من التأثيرات الأخرى للحضارةِ الإسلامِية أوصلت وهجَها الأولَ إلى الحياةِ الأوروبيةِ."

"وبالرغم من عدم وجود أي جانب مِنْ النمو الأوروبي الذي لا يمكن تقصي التأثير الحاسم للثقافةِ الإسلاميةِ فيه، فليس هذا التأثير أوضحُ ولا بالغ الأهمية بمكان كما هو الحال في تكوين تلك القوَّةِ التي تُشكّلُ القوة المُتميّزة الدائمة للعالم الحديثِ، والمصدر الأعلى لانتصاراتها، علم طبيعة والروح العلمية".

"إن ما يدين به عِلْمِنا لعلم العرب لا يَكمن فقط في الاكتشافات الباهرة أو النظرياتِ الثوريةِ، بل يَدِينُ أكثر بكثير إلى الثقافةِ العربيةِ من جهة وجودَه. فعِلْم فلك ورياضيات اليونانيين كَانا استيرادا أجنبياً لم يتأقلمَا كليَّاً في الثقافةِ اليونانيةِ.

فالإغريق قد نظموا وعمموا، ووضعوا النظريات، ولكن روح البحث، ومراكمة المعرفة اليقينية، وطرائق العلم الدقيقة، والملاحظة الدائبة المتطاولة، **كانت غريبة عن المزاج الإغريقي**".

فقط في الأسكندرية الهيلينية كَانتْ أيّ مقاربة إلى العمل العلمي قد أجريت في العالم الكلاسيكي القديم. فالذي نَطلق عليه "عِلْماً" ظهرَ في أوروبا كنتيجة للروح الجديدةِ مِنْ التحقيق، مِنْ الطرق الجديدةِ للتجربةِ، والملاحظة، والقياس، وتطوير الرياضياتِ، في شكل ظل مجهولاً لليونانيين.

تلك الروح وتلك الطرق قُدّمَا إلى العالمِ الأوروبي مِن قِبل العرب."

"من المحتملُ جداً، أن لولا للعرب، لما ظهرت حضارة أوروبية حديثة مطلقاً؛
ومن المؤكد بإطلاق أن لولاهم، لما اتخذت لها تلك السمة التي مَكّنَتها من تَجَاوُز كُلّ المراحل السابقة مِنْ التطور"

وهو كلام سيثمنه الرياضياتي البريطاني الموسوعي برتراند راسل (Bertrand Russel) (1872 – 1970)[9] بقوله:

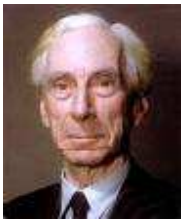

{في العصور الوسطى المظلمة كان العرب هم الذين يقومون بمهمة تنفيذ التقاليد العلمية، أما المسيحيون أمثال روجر بيكون، فقد اكتسبوا منهم إلى حد بعيد ما اكتسبوه من معرفة علمية حازتها العصور الوسطى اللاحقة}

وقد حمل الفرنسيسكاني: روجر بيكون (Roger bacon) (1214 – 1294) لقب أمير

الفكر العلمي في القرون الوسطى لأنه اتبع أساليب المسلمين في التجريب العلمي. وعرف عنه أنه أوصى بتدريس اللغة العربية، التي لا مجال لمعرفة العلوم بدونها.

وهو جد فرنسيس بيكون (Francis Bacon) (1561 – 1626) صاحب كتاب:

"الأورجانون الجديد" (Novum Organon) أي: "الآلة الجديدة" مقابل "أورجانون أرسطو"، الذي

---

[9] أنظر: برتراند راسل: "المنظور العلمي" في:
Russel, B., 1934: "The Scientific Outlook", p.21. George Allen & Unwin, London.

سيصبح من الآن فصاعداً مُتجاوزاً ومُحارباً كفكر من طرف رواد النهضة الأوروبية الذين سيعتمدون "التجريب" بدل "الخرص" كمنهج لتحقيق المعرفة.

ويلخص فرنسيس بيكون هذا المنحى المنظوري الجديد بقوله[10]:

{لقد تاهوا عن غاية العلوم وهدفها واختاروا مساراً خاطئاً باتباعهم منهجاً، لـم يكـن بمقدوره أن يكشف جديداً من مبادئ المعرفة، مكتفياً باتساق النتائج معه.

فليكف الناس عن التعجب من كون تيار العلوم لا يجري في طريقه الصحيح. فقد أضلهم منهج البحث الذي يهجر الخبرة التجريبية ويجعلهم يلفون ويدورون حول أنفسهم فـي دوائـر مُغلقة، بينما المنهج القويم يقودهم من خلال التجربة إلى سهول تتسع لبداهات المعرفة}

وقد مر بنا أن الرجل الذي كان قد مهد لمثل هذه القطيعة مع الفكر الأرسطي هو الإمام الفذ المخضرم نابغة الزمان: ابن تيمية رحمه الله في كتابيه المنطقيين: "**الرد على المنطقيين**"، و"**نقض المنطق**"، إلا أنه لم يأت أحد بعده، من عياره وحجمه وفهمه وعبقريته ، ليستثمر هذا المنحى التفكري النقدي الجديد ويبلغ به مداه، إلى أن تسلم الأوروبيين هذه التركة من المسلمين فدفعوا بها إلى نهاياتها المنطقية.

وكانت **أعمال ابن رشد** الحفيد قد طبعت آخر مرة في جنيف سنة 1608 م، أي: سنة فقط قبل الطرد النهائي للموريسكيين (هو اسم للمسلمين الذين أجبروا على التنصير) من الأنـدلس، إلا أن رسـالة "**حي بن يقظان**" التي ألفها معاصره **أبو بكر بن طُفَيْل** الأندلسي (ت: 581 هـ/1185 م) سيكون لهـا حـظ

[10] *أنظر: الفقرة 83 من الأورجانون الجديد في (Francis Bacon Novum Organum, in "The Philosopher of Science, ed. By S. Commins & R. N. Linscott, The Pocket Library, N.Y.)*

عمر أطول، حيث سيترجمها الأوروبيين باسم: "**الفيلسوف المعلم نفسه**"، لتظل ترجماتهـا تعـاود الظهـور والطباعة بمختلف اللغات الأوروبية إلى سنة 1936[11].

وهو ما يعني أن الفكر المشائي (نسبة إلى أتباع أرسطو) بلباس عربي لم يغب قط عن أوروبا.

وسيترجم جل التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية بدوره بواسـطة المستـشرقين، بـدءاً **بجربير الأورياكي البندكتي** (Gerbert d'Aurillac) (938 م - 1003 م) الذي سينتخب "**حبراً أعظماً**" (بابـا) للكنيسة باسم سلفستر الثاني (Sylvestre II) (999 - 1003 م)[12]

وللتذكير، فقد ظلت حركة الترجمة دائبة وإلى يوم الناس هذا، حيث أن ما يُنتج ويُطبع حـول الإسـلام والمسلمين وحضارتهم في الجامعات الأوروبية والأمريكية يفوق بكثير وبمراحل من حيث الكم والكيف ما يُنـتج في العالم الإسلامي كله!.

وهذا وحده يُفند دعوى من يدعي بأن المكون الثقافي لأوروبا الحديثة هو:

1) إغريقي روماني على صعيد الحضارة!!!!!!!!!!!،

2) ويهودي مسيحي على صعيد الاعتقاد!!!!!!!!!!!!!.

بينما تثبت الحقائق التاريخية الدامغة من خلال الشهادات التي قدمنا آنفاً، أن أهم مكون حضاري فـي التركيبة الأورربية المعاصرة هو:

---

[11] *وهي ترجمة جوتيه الفرنسية (L. Gauthier).*

[12] *هو أول بابا من أصل فرنسي وأنشأ مدرستين للعربية الأولى بروما والثانية بمدينة ريمس الفرنسية كما قام بترجمات من العربية خصوصاً الرياضية والفلكية ككتب إقليدس والزيج المنصوري.*

العلم والمنهج العلمي بالمفهوم التجريبي الحديث، وهو إسلامي صرف وبدون موارية.

أما على صعيد الاعتقاد، فالأمر أرحب بكثير، فمَن يستطيع اليوم أن ينفي أو حتى أن يشكك في كـــون الإسلام هو الوارث الشرعي المهيمن هيمنة مطلقة على كل المقولات التوحيدية الكبـــرى للإســـلام ولليهوديـــة وللمسيحية سواء، وذلك من خلال حواراته المستمرة معهما على مدى أزيد من أربعة عشر قرناً!؟.

انتهى ويليه

التأويل 14

التأويلية في الإصلاح البروتستانتي